الرِّسَـــالة ٣٦٨

اختبار الأخ على الشريف

(Arabic – Brother Ali El-sheriff's Testimony)

عزيزى القارئ.. لقدْ سَمِعْتُ عَنْ الأخ على الشّريف عَبْدُ اللهِ قبلَ أنْ أتشرَفَ بمُلاقاتِهِ. فنشَاطهُ الرّوحِىّ عَبْرَ الأثير ومَا يقدّمُهُ مِنْ خدَمَاتٍ بَيْنَ الشّبَابِ فِى كنَائِسَ مُتعَدّدَةٍ فِى إحْدَى مُقاطعَاتِ كندَا حَازَ إعْجَابِى وتقديرى لهُ. وعِندمَا جَاءَ لزيَارَتِى ومَعَهُ زَوْجَتَهُ الفاضِلة شَرِيكتهُ فِى الخِدْمَةِ اكتشَفتُ فِى كلَيْهِمَا تواضُعاً جمّاً ووَدَاعَة فائِقة. تؤكدَان سِرّ نَجَاح خِدْمَتِهِمَا للرّبّ يَسُوع المَسِيح فاديهِمَا. ذاكَ الذِى غَمَرهُمَا بحُبّهِ ومَلأ قلبيْهِمَا بسَلامِهِ العَجيب. ودَعَاهُمَا لحَمل الصّليبِ مُؤيّدِيْنَ بمَعُونتِهِ. لتحَمّل شَتَى أنوَاع الاضْطهَادِ مِنْ أقرَب النّاس إليْهِمَا.

إنّهُمَا يُذكرَانَنِى بدَعْوَةِ اللهِ المَذكورَةِ بالأصْحَاح الثانِى عَشَر مِنْ سفر التكوين. فلقدْ حَدَثَ ذلكَ مَعَ أبينَا إبرَاهيمَ خليل اللهِ إذ قالَ الرّبّ لهُ: "اذهَبْ مِنْ أرْضِكَ وعَشيرَتكَ ومِنْ بَيْتِ أبيكَ إلى الأرْض التى أريكَ". ليسَ هَيّنَاً على المَرْءِ أنْ يَترُكَ أرْضَهُ وعَشيرتهُ وبَيْتِ أبيهِ إلا إذا كانَ ذلِكَ بدَعْوةٍ واضِحَةٍ مِنَ اللهِ ووَفقاً لمَشيئتِهِ الصّالحَةِ. كثيرُونَ مِنْ رجَال اللهِ على مَرّ العُصُور اجتازُوا اختباراً كهَذا. والأخُ على الشّريف واحِدٌ مِنْهُمْ. والآنَ أحِبّائِى يُسْعِدُنِى أنْ أقدّمَ إليكمْ الأخَ المَحْبُوبَ على الشّريفَ خَادِمَ الرّبّ ليُخْبرنا بمَا حَدَثَ مَعَهُ فى بَيْتٍ أعَدتهُ الأمُمُ المُتحِدَة للاجئينَ أمْثالِهِ. فهيّا بنَا نقرَأ مُوجَزاً مِنْ اختبَارِهِ الشيّق. مَنقولاً بتصرّفٍ مِنْ تسْجيلٍ بصَوتِهِ.[١]

فى بَيْتٍ أعَدتهُ الأمُمُ المُتحِدَة لنَا كلاجئينَ جُدُدٍ فارقنَا أهلنَا وأصْدِقاءَنَا. لمْ يبقَ بقلوبنَا إلا حَنينٌ عَجيبٌ إلى رُؤيةِ ترَابِ وطنِنَا الغالِى. كنّا نسكنُ سَوِيّاً كلاجئينَ وكلّ مِنّا يَحكِى قصّة هُرُوبهِ مِنْ أجل حيَاتِهِ المُهدّدَةِ يَوْماً بَعْدَ يَوْم وسَاعَة بَعْدَ سَاعَة. وذاتَ يَوْم كنتُ جَالساً أصلى الصّلاة التِى اعتدْتهَا كمُسلم نشَأتُ فى عَائلةٍ تدينُ بالإسلام. فقرَعَ بَابَ البيتِ فريقٌ مِنْ رجَالٍ ونِسَاءٍ حَضَرُوا لافتقادِنَا وإظهَار مَحَبتهمْ لنَا كغرَبَاء وبَعْدَ أنْ سَمَحُوا لهُمْ بالدّخول سألوا عَنّا كلاجئينَ جُدُد. فدَخلوا وجلسُوا مَعَ الزمَلاء اللاجئين السّاكنينَ فى ذلكَ البَيْت. كانَ واحِدٌ مِنَ الفريق هو المُتكلم أمّا بقيّة أفرادِ المَجْمُوعَةِ الذينَ أتوْا مَعَهُ فكانوا جَالسينَ فى صَمْت. ولكوْنِى كنتُ أصلى لمْ أعْطِهِمْ أىّ اهتمَام. وبَعْدَ إتمَام صَلاتِى ذهَبْتُ الى غُرفتِى غَيْرَ عَابئ بمَا يَدُورُ خَارجَهَا. ولسْتُ أعْرفُ مَاذا حَدَثَ بَعْدَ ذلِكَ.[٢]

لاحَظْتُ أنّ ذلكَ الفريقَ كانَ يأتِى مرّة كلّ أسْبُوع. ويَقومُ بنفس الخِدْمَة باهْتِمَام بَالِغ وبروح نشيطة. كمَا لاحَظْتُ أنّهُمْ يَستخْدِمُونَ كتاباً مُعيّناً يأتونَ بهِ مَعَهُمْ إذا قرأوا. وبينمَا كانَ أحَدُهُمْ يقرأ كانتْ المَجْمُوعَة البَاقية تغْمِضُ أعْيُنَهَا وتصلى. حَدَثَ يَوْماً مِنَ الأيّام عِندمَا كنتُ واقفاً عِنْدَ البَابِ الخَارجِىّ للمَنزل. فإذا بامْرَأتيْن تتجهَان نَحْوى. حَاولتُ إخلاءَ الطريق لهُمَا ولكنّهُمَا قصَدا أنْ يَتحَدثا مَعِى أنَا شَخْصيّاً. بَادَرُوا بالسَلام علىّ فجَاوبتهُمْ بالسّلام والتحيّة. بَعْدَ ذلِك قالتْ لِى إحْدَاهُنّ: لدَينَا مَوضُوعٌ هَامٌ ونريدُ أنْ نتحَدّثَ مَعَكَ بشَأنِه.

سألتهُمَا على الفوْر: مَا هذا المَوْضُوعُ الهَامّ؟. فقالتْ إحْدَاهُمَا: عَنْ الله. فقلتُ: ليْسَ لدَىّ مَانِعٌ. ولكنْ لدَىّ شَرْط وَاحِدٌ. وهُو أنّنى أومِنُ بأنّ هناكَ إلهاً واحِداً لا إلهَ إلا هُوَ. ولدَىّ طريقة مُعيّنَة لعبَادَةِ الإلهِ الوَاحِد. فإنْ كنتمْ تؤمِنونَ بنفس إيمَانِى فمَرْحَباً بكمْ. أمّا إذا كنتمْ تقولونَ لِى: إنّ اللهَ ثلاثة وهُنَاكَ ابنٌ للهِ فلا تضَيعْنَ وقتكنّ مَعِى. فقالا: نوافقُ. وكانَ هذا اللِقاءُ هُو الأولُ بيْنَنا. وبَعْدَ لقاءَاتٍ دَامَتْ أكثرَ مِنْ ثلاثة شُهُور تحققتُ أنّ يَسُوعَ المَسيح هُوَ اللهُ الذى ظهَرَ فى الجَسَد. وهُوَ كلمَة اللهِ التِى ألقاهَا إلى مَرْيَم. تحققتُ مِنْ ذلِكَ بَعْدَ مُقارَنَاتٍ وقرَاءَاتٍ كثيرَة. وقرّرْتُ الذِهَابَ إلى الكنيسَةِ وفعْلاً ذهَبْتُ. ولكنْ كانَتْ لدَىّ أسئلة كثيرَة مُحيرَة وعَدَمُ شُعُور بسَلام بقلبى وحيَاتِى.[٣]

باختصَار كنتُ لا أشْعُرُ برَاحَةٍ نفسيّة على الإطلاق. لإننِى كنتُ أشْعُرُ أننّى مُثقلٌ بأخْطاءٍ وخَطايَا عَدِيدَة. وبقيتُ على هَذِهِ الحَال قرَابَة شَهْرَيْن. أذهَبُ إلى الكنيسَةِ كلّ يَوْم أحَد. ولكنّ الشّعُورَ بالذنبِ وعَدَمَ الرّاحَةِ الدّاخِلِيّة هُو هُو لمْ يَتغيّرْ. وحَدَثَ يَوْماً مِنَ الأيّام كنتُ جَالِساً فى الكنيسَةِ أستمعُ إلى الوَاعِظِ وَهُوَ يُلقِى عِظتهُ. فلاحَظتُ أنّهُ

---

[١] سفر التكوين ١٢: ١ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] إنجيل متى ٢٥: ٣٥

[٣] إنجيل مرقس ١٢: ٣٢ ، رسَالة بُولس الرّسُول الأولى إلى تيموثاوس ٣: ١٦

كانَ يلقيهَا بقوّةٍ غيْر عَاديّةٍ وبحمَاس شَديد. ولقدْ بَدَأ بقرَاءَةٍ مِنْ إنجيل متى الأصْحَاح الحَادِى عَشَر والعَدَد الثامِن والعِشْرِينَ وهَذا نصّهُ: "تعَالوْا إلىّ يَا جَميعَ المُتعبينَ وثقيلى الأحْمَال وأنَا أريحُكمْ".[1]

بدأ يَشْرَحُ كيفَ أنّ اللهَ مِنْ أجل مَحَبّتِهِ للبشَريّةِ جمْعَاء مَحَبّة عَجيبَة لا يُعَبّر عَنهَا، أعْطانَا الابنَ الوَحيد يَسُوعَ المَسيح ليَمُوتَ مِنْ أجلنَا على الصليب ليُطهرنَا بدَمِهِ. فنَالَ تبريراً وتحْريراً مِنْ خَطايَانَا. وبذلكَ تتحقق قدَاسة اللهِ وعَدَالتهُ ورَحْمتهُ. إنّ الرّبّ يَسُوعَ المَسيحَ يَدْعُو كلّ المُتعَبينَ مِنْ خطايَاهمْ وثقيلى الأحْمَال بهُمُوم العَالم الفانِى ليَأتوا إليهِ. فيجددَ قلوبَهُمْ وينزَعَ مِنهَا دَوافعَ الشّرّ والبُغضَة والحَسَدَ والكرَاهيّة. ليَحِلّ السّلامُ والمَحَبّة والصّفحُ والغُفرَان. فِى كلّ التاريخ لمْ يقدّمْ سِوَاهُ للبشَريّةِ دَعْوَة لرَاحَةِ المُتعَبينَ. فالرّبُّ يَسُوعُ وَحْدهُ قادِرٌ أنْ يُريحَ المُتعَبينَ.

بَعْدَ أنْ أنْهَى الوَاعِظ هَذِهِ الكلمَات بَدَأ يُقدّمُ دَعْوَة إلى السّامِعينَ. وطبْعاً أنَا كنْتُ واحِداً مِنْهُمْ. وقالَ: إنّ الذينَ لمْ يَعترفوا بَعْدُ أنّ المَسيح هُو المّخلصُ ولمْ يقبلوهُ مُخلصاً شَخْصيّاً لهُمْ، يُمكنهُمْ الوُقوفَ للصّلاةِ وقبُوله كرّبّ ومُخلص لهُمْ. كنتُ أشْعُرُ أنّ هَذا الكلامَ مُوجّهٌ لى أنَا شَخْصيّاً. إنّ عَقلِى وقلبى يَتفجّرَان بالغَضَبِ والبغْضَةِ والكرَاهيّةِ ورُوح الانتقام. كانَ كاهِلِى مُحَمّلٌ بالآثام والشّعُور بالذنْب كنتُ أعلمُ تمَاماً أنّ كلّ مَا فعلتهُ مِنَ الخَطايَا مَكتوبٌ على يَسَارى إلى يَوم وفاتِى وسَوْفَ يتمّ حِسَابى. وعلى الرّغْم مِنْ أنّنِى أعْبُدُ اللهّ وأصلِى إلا أنّنِى كنتُ غَيْرَ مُتأكِدٍ مِنْ خَلاصِى. لأنّنِى مَا زلتُ أشْعُرُ بأنّنِى أحْتاجُ إلى التحْرير. كنتُ أتوقعُ أنّ حِسَابى سَوْفَ يكونُ عَسيراً.[2]

لقدْ وَصلتُ إلى مَعْرفةِ يَسُوعَ المَسيح مَعْرفة عَقليّة. لأنّنِى قرَأتُ الكتبَ وأقتنَعْتُ أنّ يَسُوعَ المَسيحَ هُو اللهُ الذِى تجَسّدَ. ولكنْ هَذِهِ المَعْرفة العقليّة كانتْ لا تكفِى للاستمتاع بالسّلام والرَاحَة. وعندَمَا قدّم الوَاعظ هَذِه الدّعْوَة القويّة كانَ قصْدُهُ أنْ اتعَرّفَ على الرّبّ يَسُوعَ مَعْرفة قلبيّة. ومَعنَى ذلكَ أنْ أتِىَ إلى الرّبّ يَسُوعَ بكلّ كيَانِى ومِنْ كلّ قلبى وأقبلهُ مُخَلصاً شَخْصيّاً. لقدْ تحققتُ فِعْلاً أنّنِى أحتاجُ إلى المَحَبّةِ والغفرَان وإلى السّلام والرّاحَة. إنّنِى أحتاجُ لأعْرفَ المَسيحَ كمُخَلِص شَخْصِىّ لِى. وفِى النّهايَةِ وقفتُ وصليْتُ وقبلتُ الرّبّ يَسُوعُ فى قلبى. الأشْيَاءُ العتيقة قدْ مَضَتْ هُوذَا الكلّ قدْ صَارَ جَديداً وهَذِهِ كانتْ البدَايَة. وتحققتُ أنّ اللهَ ليْسَ ذلكَ الجَزّارُ ليقطعَ الأيْدِى والأرْجل. ولكنّهُ الإلهُ المُحِبّ الرّحيمُ الرّؤوفُ. الذِى جَاءَ مِنَ السّمَاءِ ليُحقِقَ لنَا حُبّهُ وعَدَالتهُ على الأرْض.[3]

كمَا تحققتُ أنّ اللهَ ليْسَ لهُ مكانٌ وَاحِدٌ مُعينٌ ليقبلَ فيهِ صلاتِى. بلْ فِى أىّ مكان هُو مَعِى. يَرَانِى ويَسْمَعُ صلاتِى ويقبلُ دُعَائِى أينمَا أدْعُوهُ. ولقدْ تحققتُ أنّ اللهّ هُو أبى السّمَاوىّ يهتمّ بكلّ احتيَاجَاتِى وبكلّ مَا أريدُهُ. فعِندَمَا قبلتهُ شَعَرْتُ أنّ فيهِ وبهِ رَاحَتِى الحقيقيّة. وتحققتُ أنّ يَسُوعَ المَسيحَ هُو الرّبّ وهُو المُخلصُ وهُو الذِى غَفَرَ كلّ خَطايَاى مَاضيهَا وحَاضرهَا ومُستقبلهَا. إذ دَفعَ ثمَنَهَا جَميعاً على الصليب. وهكذا قبلتُ الرّبّ يَسُوعَ المَسيحَ وتوجتهُ ملِكاً على عَرْش قلبى. وكمْ أنَا سَعيدٌ لأنّهُ قبلنِى كمَا أنَا. وهذا هو اختبَارى مَعَ ربّى يَسُوعَ يَا أحبّائِى.[4]

عزيزى القارئ.. لقدْ كتبَ بُولس الرّسُول برسَالتِهِ إلى مُؤمِنِى أفسُس الأصْحَاح الثانِى يقولُ: "اللهُ الذِى هُو غَنِىّ فى الرّحْمَةِ مِنْ أجل مَحَبّتِهِ الكثيرَةِ التى أحَبّنَا بهَا ونَحْنُ أمْوَاتٌ بالخَطايَا أحْيَانَا مَعَ المَسيح". تلكَ الحَيَاة الجَديدَة مَعَ المَسيح لهَا بَدْءٌ وليْسَ لهَا نِهايَة. تبْدَأ يَوْماً وفقاً لدَعْوةٍ سَمَاويّة نقبلهَا باختيَارنَا. وبقرْبنَا إلى اللهِ سنَعْرفهُ المَعْرفة الحقيقية. وَسنتمتعُ بشَركةٍ صَحيحَة مَعَ ذاكَ الذِى أحَبّنَا فضلاً. فنحْيَا مَعَهُ ولَهُ وبهِ الحَيَاة الأبَديّة.[5]

أدْعُوكَ أخِى لتشتركَ مَعِى فى تلكَ الصّلاةِ: أبَانَا السّمَاوىّ.. أقدّمُ لجَلالِكَ حَمْداً وشُكراً. يَا مَنْ بكَ أحْيَا وأتحَرّكُ وأوجَدُ. أشكرُكَ مِنْ أجل نوركَ الذِى سَطعَ على حيَاتِى. فبدّلهَا مِنْ جَهلٍ إلى مَعْرفةٍ حقيقيّةٍ لشَخْصِكَ المُبَارك. كمْ هُوَ عَجيبٌ حُبّكَ الذِى لا يُعَبّرُ عَنْهُ. وقدْ ظَهرَ على عُودِ الصليب فى شَخْص ذاكَ الذِى بَذلَ دَمَهُ مِنْ أجل خَلاصِى. فبهِ نِلتُ سلاماً وفرَحاً لا يُنْطقُ بهِ وحيَاة أبَديّة. أسألكَ ربّى عَوْناً وقوّة لأحْيَا كارزاً باسْم مَنْ فدانى. أرفعُ صلاتِى وَاثقاً مِنْ استجَابتِكَ إلهى. مُتكِلاً على وَعْدِكَ القائِل: مَنْ يُقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخِى القارئ العَزيز.. إنْ أرَدْتَ سمَاعَ تِلكَ الرّسَالة أو غَيرهَا ستَجدُ ذلِكَ فِى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] إنجيل متى ١١: ٢٨
[2] رسَالة بُولس الرّسُول إلى مُؤمِنِى رومية ٢: ٤ – ٦
[3] رسَالة بُولس الرّسُول الثانية إلى مُؤمِنِى كورنثوس ٥: ١٧
[4] رسَالة يوحنا الرّسُول الأولى ٣: ١
[5] رسَالة بُولس الرّسُول إلى مُؤمِنِى أفسُس ٢: ٤